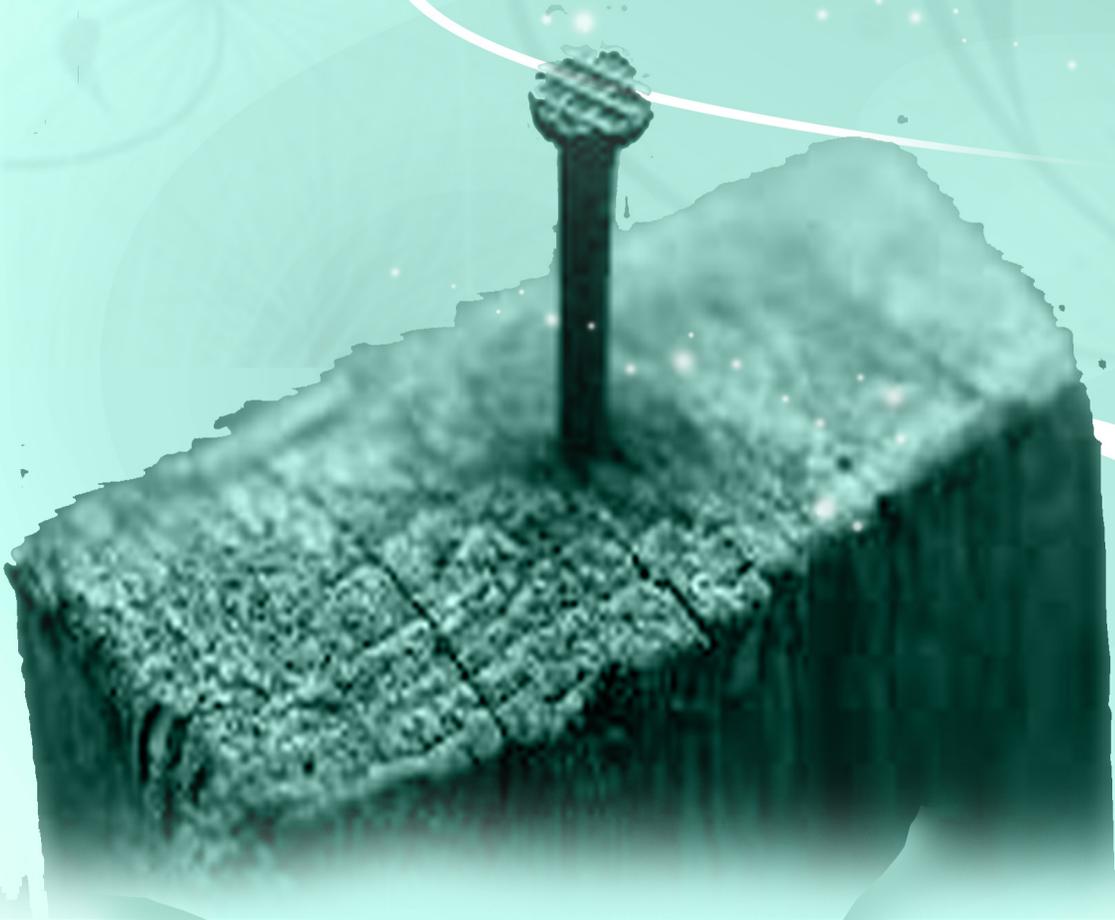


آفاتُ اللسانِ

السخرية - الاستقراء - المزاح المحرم



الشيخ ندا أبو أحمد

الألوكة

www.alukah.net

أَفْئَاتُ اللِّسَانِ

(٦)

السُّخْرِيَّةُ - الاسْتَهْزَاءُ

الْمِرْجَاحُ الْحَرَمُ

للشيخ / ندا أبو أحمد



(السخرية والاستهزاء - المزاح المحرم)

تهيّد

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ٧٠ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى - وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أولاً: السخرية

وهي الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة "

(الإحياء: ١٧٦/٣)

أولاً: النهي عن السخرية في القرآن الكريم

١- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الحجرات: ١١]

قال الحافظ رحمته الله: "إن من فعل إحدى الثلاث: السُّخْرِيَّةُ - النِّبْزُ - اللَّمَزُ؛ استحق اسم الفسوق، وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان".

ومجمل القول: إن الله ﷻ قد نهى المؤمنين أن يسخر أحدهم من أخيه؛ لفقْر نزل به، أو لذنب ارتكبه، وألا يتنازروا بالألقاب.

- ويفهم من الآية أن الساخر يكون دائماً أقل شأنًا ممَّن يسخر منه، حتى وإن كان الساخر أرفع شأنًا ممَّن يسخر منه، فقد هبط بسخريته وانخفض عنه منزلة عند الله.

- **قال الطبري** رحمته الله **في قوله تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّن قَوْمٍ ... ﴾ الآية:

"إن الله عمَّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السُّخْرِيَّةِ، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن، لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك "

(تفسير الطبري: ٨٣/١١)

وقال الطبري رحمته الله **أيضاً في قوله تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّن قَوْمٍ ... ﴾ الآية:

"يقول - تعالى ذكره - : "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا يهزأ قوم من قوم مؤمنين ﴿ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا

خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي المهزوء منهم خير من الهازئين، ﴿ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ ﴾ أي: ولا يهزأ نساء مؤمنات من

(تفسير الطبري: ٨٣/١١)

نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهن أن يكن خيراً من الهازئات"

وقال القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ...﴾ الآية:

"وبالجملة فينبغي ألا يجترأ أحدٌ على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهةٍ في بدنه، أو غير لبيقٍ في محادثته، فلعله أخلص ضميراً، وأبقى قلباً ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير مَنْ وقره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله".
(تفسير القرطبي: ٣٢٥/١٦)

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ...﴾ الآية:

"ينهى تعالى عن السُّخْرِيَّةِ بالناس واحتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في "الصحيح" عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الكبر بظر الحق" (١) وغمط الناس (٢)، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحبَّ إليه من الساخر منه، والمحتقر له، ولهذا قال تعالى:

﴿هَمَّازٌ مَّشَاءً بِنِيمٍ﴾ [القم: ١١] أي أنه يحتقر الناس ويهمزهم طاغياً عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة"

(تفسير ابن كثير: ٢١٢/٤)

• سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ...﴾ الآية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس، كان في أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أو سَعُوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جانبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه، فريض كل رجل منهم بمجلسه، وعضُّوا فيه (٣)، فلا يكاد يوسع أحدٌ لأحد، حتى يظل الرجل لا يجد مجلساً فيظل قائماً. فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس، ويقول: تفسَّحوا، تفسَّحوا، ففسَّحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسَّح، فقال له الرجل: قد وجدت مجلساً فأجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضباً، ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان. فقال ثابت: ابن فلانة! يعيرُهُ بها، يعني أمًّا له في الجاهلية، فاستحيا الرجل؛ فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ...﴾ الآية"

(تفسير القرطبي: ٣٢٥/١٦)

(١) بظر الحق: أي إنكاره، والاستكفاف عن قبوله، وردّه.

(٢) غمط الناس: قال ابن الأثير رحمه الله: غمطت حق فلان: إذا احتقرته ولم تره شيئاً، ويقال: غمضته: إذا انتقصته وازدريت منه.

(٣) عضُّوا فيه: أي تمسَّك كل منهم بمجلسه لا يريد أن يبرحه.

وقال الضحاك رضي الله عنه: "نزلت في وفد بني تميم، كانوا يستهزئون بفقرء الصحابة مثل عمّار، وخبّاب، وبلال، وصُهَيْب، وسلمان، وسالم - مولى أبي حذيفة-... وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم" (المصدر السابق)

وقيل: "نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مسلماً، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا: "ابن فرعون هذه الأمة"، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت" (المصدر السابق)

- وفي قوله تعالى: ﴿... وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ الآية

قال القرطبي رضي الله عنه: "أفرد النساء بالذكر؛ لأن السُّخْرِيَةَ منهن أكثر.

وقال: "قال المفسرون: "نزلت في امرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتَا من أم سلمة"

(تفسير القرطبي رضي الله عنه: ١٦/٣٢٦)

وروي عن أنس وعكرمة بن عباس رضي الله عنهما:

"أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، أم المؤمنين رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن النساء يُعيرنني، ويقلن لي: يهودية بنت يهوديين! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَلَّا قلت: إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد" فأنزل الله هذه الآية.

(المصدر السابق)

وقيل: "إنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم لما عيّرَن صفية بالقصر"

وقيل: "نزلت في عائشة رضي الله عنها أنها أشارت بيدها تقصد صفية وتعني أنها قصيرة".

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ فجعل اللَّامِزَ أخاه لامِزاً نفسه؛ لأن المؤمنين كرجلٍ واحد

فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره وطلب صلاحه ومحبته الخير؛ **ولذلك جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المؤمنون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر**

(تفسير الطبري: ١١/٨٣)

جسده بالحمى والسهر"

- وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾، أي: لا يطعن بعضكم على بعض.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّابِرُوا بِالألقَابِ﴾: قال الطبري رحمه الله:

"اختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنايز بها في هذه الآية، فقال بعضهم: "عنى بها الألقاب التي يُكره النبز بها المُلقَّب، وقالوا: "إنما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلمَّا أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضاً بما يكره من أسمائه التي كان يدعى بها في الجاهلية".

والحديث رواه الإمام أحمد عن أبي جبيرة بن الضحاك قال:

"فينا نزلت - في بني سلمة - ﴿وَلَا تَتَّابِرُوا بِالألقَابِ﴾، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي أحدٌ منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله، إن يغضب من هذا، فنزلت: ﴿وَلَا تَتَّابِرُوا بِالألقَابِ﴾"

- وقال آخرون: "بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم: "يا فاسق، يا زاني".

- وقال آخرون: "بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام، وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة، ثم قال: "والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: "إن الله - تعالى ذكره- نهى المؤمنين أن يتنايزوا بالألقاب، والتنايز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمَّ الله بنهيه ذلك، ولم يخصَّ به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحدٍ من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها".

(تفسير الطبري: ١١/٨٥)

- وقوله: ﴿بِسِّ الأِسْمِ الفُسُوقُ بَعْدَ الأِيمَانِ...﴾ أي بسِّ الصفة والاسم الفسوق، وهو: التنايز بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يتنايعون، بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه، ثم قال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتَّبِ﴾ أي من هذا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

• والتنايز بالألقاب من السخرية

مما سبق يتضح لنا: أن التنايز بالألقاب إنما هو داخل في مفهوم السخرية، كما دخل فيها مفهوم الهمز واللمز، ومن ثم يكون اللمز والتنايز بعد ذكر السخرية من قبيل ذكر الخاص بعد العام، اهتماماً به، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، إذ النخل والرومان من الفاكهة أيضاً.

وأيضاً نظير هذا في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ومع أن الصلاة الوسطى (العصر) من جملة الصلوات إلا أنها ذكرت بعد ذكر الصلوات، وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام لبيان أهمية الخاص.

• الهمز واللمز من السخرية

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ [القلم: ١٠-١٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠]

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ [الهمزة: ١]

- قال القرطبي رحمه الله في "تفسيره" (١٠/١٣٤): قال سفيان الثوري:

"الهمزة: الذي يهمز بلسانه، واللمزة: الذي يلمز بعينه، وقال ابن كيسان: "الهمزة: الذي يؤذى جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جلسه، ويشير بعينه ورأسه وبجانبه (سخرية به). اهـ

- ويقول يحيى المعلمي: "الهمز: هو السُّخْرِيَّةُ من الناس بالإشارة، كتحرريك اليد قرب الرأس إشارة إلى الوصف بالجنون، أو الوجد بالعين رمزاً للاستخفاف... أو نحو ذلك من الحركات، واللمز: هو السُّخْرِيَّةُ من الناس بالقول، كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض، أو اتهامه بخليقة سيئة، أو التعريض بذلك"

(مكارم الأخلاق في القرآن الكريم: ص ٣٣٣)

• التهكم والتعير من السخرية:

المراد بالتهكم: ما كان ظاهره جداً وباطنه هزلاً، يقول الكفوي: ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظ من الألفاظ الدالة على الذم أو لفظة معناها الهجو"

(الكليات للكفوي: ١٧/٢)

ومن ثمَّ كان التهكم من السُّخْرِيَّةِ، أما التعير بالفقر أو الذنب أو العلة أو ما شابه ذلك، فقد نصُّوا على أنه من السُّخْرِيَّةِ، وقد مرَّ بنا قول الإمام الطبري رحمه الله في "تفسيره" (١١/١٣٤): "عمَّ الله بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السُّخْرِيَّةِ، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك". اهـ

٢ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾

[المطففين: ٢٩-٣٠]

• وسبب نزول هذه الآية:

قال النيسابوري: "قال المفسرون: هم مشركو مكة: أبو جهل، والوليد بن المغيرة وأضرابهما، كانوا يضحكون من عمّار، وصهيب، وبلال... وغيرهم من فقراء المؤمنين" (غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ٥١/١٢)

وقيل: "جاء علي بن أبي طالب عليه السلام في نفرٍ من المسلمين فسخر منهم المنافقون، وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم، فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، فضحكوا منه، فنزلت هذه الآية قبل أن يصل علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم" (المصدر السابق)

قال الطبري رحمه الله في تفسيره الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ...﴾ الآيات.

"إن الذين اكتسبوا المآثم فكفروا بالله في الدنيا كانوا فيها من اللذين أقروا بوحداية الله وصدقوا به يضحكون استهزاء منهم بهم، وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مرّ الذين آمنوا بهم يتغامزون: أي يغمز بعضهم بعضاً بالمؤمن استهزاءً به وسخرية"

(تفسير الطبري: ٧٠/١٢)

٣ - وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾
﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠٩ - ١١١]

قال القرطبي رحمه الله في "تفسيره" لهذه الآية (١٥٥/١٢):

"يستفاد من هذا: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، والاحتقار لهم، والإضرار عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني، وأن ذلك مبعد من الله تعالى". اهـ

٤ - وأخرج الترمذي من حديث أم هانئ رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عند قوله تعالى:

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، قال: كانوا يحذفون^(١) أهل الأرض، ويسخرون منهم

(١) يحذفون: أصل الحذف هو الرمي بحصاة تكون بين الأصابع، والقصد أنهم يحتقرون أهل الحق ويسخرون منهم.

ثانياً: نهي النبي ﷺ عن السخرية والاحتقار

١ . أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تحاسدوا ولا تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ، دمه وماله وعرضه"

- ويقول النبي ﷺ أيضاً كما عند الإمام مسلم:

"بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم".

٢ . وأخرج البخاري عن المعمر قال: "لقيت أبا ذر بالرّيذة وعليه حلةٌ وعلى غلامه حلة،

فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً^(١) فعيرته بأمه^(٢)، فقال لي النبي ﷺ: "يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية"^(٣)، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل، وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم بأعينهم"

وهذا الحديث يدل على أن الاستهزاء بالغير أو التحقير من شأنه من فعل الجاهلية

٣ - وأخرج أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ:

"حسبك من صفة كذا وكذا" - قال أحد رواة الحديث: "تعني قصيرة، فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيت إنساناً فقال لي النبي ﷺ: "ما يسرني أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا"

(صححه الألباني في "سنن أبي داود": ٢٦٩)

(١) ساببت رجلاً: قيل هذا الرجل هو بلال رضي الله عنه مؤذن الرسول ﷺ.

(٢) عيرته بأمه: نسبته إلى العار.

(٣) فيك جاهلية: أي خصلة جاهلية.

٤ - وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال: "علام يضحك أحدكم مما يفعل"

- وصدق القائل حيث قال:

المرء إن كان عاقلاً ورعاً
كما السقيم المريض يشغله
أشغله عن عيوب غيره ورعه
عن وجع الناس كلهم وجعه

- وقال آخر:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
فيهتك الله سترا عن مساويها
ولا تعب أحداً منهم بما فيها

٥ - وأخرج الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن يزيد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال رجل: إني لأرى صاحبكم يعلمكم كيف تصنعون، حتى إنه ليعلمكم إذا أتى أحدكم الغائط، قال: قلت: نعم، أجل ولو سخرت، بأنه ليعلمنا كيف يأتي أحدنا الغائط، وإنه ينهانا أن يستقبل أحدنا القبلة وأن يستدبرها، وأن يستنجي أحدنا بيمينه، وأن يتمسح أحدنا برجيع ولا عظم، وأن يستنجي بأقل من ثلاثة أحجار"

٦ - وأخرج الإمام مسلم عن أسير بن جابر:

"أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض فدعا الله فأذهب عنه، إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر له"

وصدق الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال كما عند البخاري:

"رَبُّ أَشْعَثِ أَغْبَرَ ذِي طَمْرِينٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ"

نصيحة:

قال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

"اجعل المسلمين عندك أباً، وصغيرهم ابناً، وأوسطهم أخاً، فأني أولئك تحب أن تسمى إليه؟"

(جامع العلوم والحكم: ص ٢٩٦)

• حكم السخرية:

يُفهم من نهي المولي ﷺ عن السُّخْرِيَةِ بأنواعها المختلفة أنها حرام، وأنها من الكبائر، يقول الإمام السفاريني رحمه الله في كتابه "غذاء الألباب" (١/١٣٥): وتحرّم السُّخْرِيَةُ والهُزُّ؛ لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ...﴾ [الحجرات: ١١] الآية؛ ولنهيه ﷺ عن ذلك كما سيأتي

- أما كونها من الكبائر

فيدل عليه ما أخرجه الطبري في "تفسيره" وعبد الرزاق الخرائطي في "مساوي الأَخلاق" (٦٧) عن طَيْسَلَةَ بِنِي مَيَّاسٍ قَالَ:

"كنت مع النجدات فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر، فذكرتُ ذلك لابن عمر، قال: وما هي؟، قلت: كذا وكذا. قال: ليست هذه من الكبائر، هن تسعٌ (أي الكبائر): الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ نَسَمَةٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالْحَادِ فِي الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ^(١)، وَبِكَاءِ الْوَالِدِينَ مِنَ الْعُقُوقِ، قَالَ لِي ابْنُ عَمْرٍو: أَتَفَرَّقُ^(٢) مِنَ النَّارِ، وَتَحَبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، قَالَ: أَحْيِ وَالِدَاكَ؟ قُلْتُ: عِنْدِي أُمِّي، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ أَلَنْتَ^(٣) لَهَا الْكَلَامَ، وَأَطَعْتَهَا الطَّعَامَ لَتَدَخَلَنَّ الْجَنَّةَ، مَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ"

- والباعث على السُّخْرِيَةِ واحتقار الناس إنما هو الكبر، وهم من أعظم خصال الشر والنبي ﷺ يقول كما في "صحيح مسلم": "الكبر بظُرِّ الْحَقِّ وَغَمَطِ النَّاسِ"

فالمُتَكَبِّرُ ينظر إلى نفسه بعين الكمال، وإلى غيره بعين الانتقاص، فيحتقرهم ويزدريهم، وهذا الصنف نذكره بحديث رسول الله ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ" (رواه الترمذي)

- ويا مَنْ تَسَخَّرَ مِنَ النَّاسِ فِي الصُّورَةِ أَوْ الشَّكْلِ، أُذَكِّرُكَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]

فإنه هو الخالق البارئ المصور

(١) يستسخر: الاستسخر من السُّخْرِيَةِ، وهو الاستهزاء من إنسان والضحك والإضحاك منه.

(٢) أَتَفَرَّقُ: الفرق من الخوف والفرع.

(٣) أَلَنْتَ: أي خفضت صوتك، وكلمتها باللفظ وعذوبة اللسان.

فليس لصاحب الشكل الديميم ذنب فيعير ويلام، وليس لصاحب الشكل الجميل فضل أو يد فيشكر ويؤان.

قال رجل لحكيم: "يا قبيح الوجه! فقال: ما كان خلقٌ وجهي إليّ فأحسنه" (الإحياء: ١٩٨/٣)

فدم الإنسان لخلقته هو ذمٌ لخالقه، فمن ذمَّ صنعةً، فقد ذمَّ صانعها
وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وفيه أن النبي ﷺ قال:

"كل خلق الله ﷻ حسن" (الصحيحة: ١٤٤١)

- ويا من تسخر من الناس لفقرهم أو للباسهم، أدرك بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾

[الرعد: ٢٦]

وبقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩]

وبقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]

فالله سبحانه هو الرزاق، وهو الذي يعطي هذا ويمنع هذا، فلا اعتراض على حكمه ولا راد لقضائه.

• الحاصل أن الصورة والمال ليسا بمقياس لتوقير الناس، أو السخرية منهم، إنما المفاضلة في طهارة القلب، وحسن الأعمال.

ويدل على هذا ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"

فالكرامة والفوز تكون لأصحاب القلوب النقية النقية مهما كان حاله وصورته

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ

اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

• وهناك مَنْ يسخر من معصية أخيه بدلاً من نصحه

وقد حذر النبي ﷺ من هذا في الحديث الذي أخرجه الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ [قَدْ تَابَ مِنْهُ]؛ لَمْ يَمِتْ حَتَّى يِعْمَلَهُ" (ضعفه الألباني رحمه الله في جامع الترمذي: ٦٦١)
فأنت إذا رأيت رجلاً مبتلى؛ فاحمد الله على العافية، واسأل الله أن يعافيه بدلاً من أن تسخر منه،
فيعافيه الله ويبتليك.

- وكما قيل: "لا تسخر من أخيك؛ فيعافيه الله ويبتليك"

- وكان عبد الله بن مسعود رحمه الله يقول:

"البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً"

وزاد في "نزهة الفضلاء": "واني لأكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا"

(سير أعلام النبلاء: ٤٩٦/١)، (تفسير القرطبي: ٣٢٥/١٦)

- وعن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال:

"إني لأرى الشيء مما يعاب، ما يمنعني من غيبته إلا مخافة أن أبتلى به" (رواه هناد في الزهد: ١١٩٢)

- وعن الأعمش رحمه الله قال: "سمعت إبراهيم يقول:

"إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله"

(رواه البيهقي في الشعب: ٣١٥/٥ ، رقم ٦٧٧٥)

- وقال عمرو بن شرحبيل رحمه الله:

"لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه؛ لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع" (تفسير القرطبي: ٣٢٥/١٦)

- وقال ابن سرين رحمه الله: "عَيَّرْتُ رَجُلًا، وَقَلْتُ: يَا مَفْلَسُ، فَأَفْلَسْتُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً"

(صيد الخاطر: ص ٤٤)

- وعن الحسن البصري رحمه الله قال:

"كانوا يقولون: من رمى أخاه بذنب قد تاب منه، ولم يمت حتى يبتليه الله به" (فيض القدير: ١٨٣/٦)

- وكان عيسى عليه السلام يقول: "لا تنتظروا إلى عيوب الناس كالأرباب، وانظروا في عيوبكم كالعبيد، إن

الرجل يبصر القذة في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عينيه، وإنما الناس رجلان: معاف ومبتلى،
فاحمدوا الله على العافية وارحموا المبتلى".

وقال بعضهم:

دُموعاً ولا يبكي على موت قلبه دما

عظيماً وفي عينيه عن عيبه عمي

عجبت لمن يبكي على موت غيره

وأعجب من ذا أن يرى عيب غيره

• فعلى الإنسان أن يمسك عن السُّخْرِيَّةِ والاستهزاء بالآخرين، فإن فعل فهي له صدقة

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه، ويتصدق،
قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال:
يأمر بالمعروف أو الخير، قيل: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يُمْسِكُ عن الشر فإنها صدقة"

- وفي رواية عند مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال:

"قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله، قال: قلت:
أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال:
تعين صانعاً، أو تصنع لأخرق، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض
العمل؟ قال: تكف شركك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك"

- وفي رواية عند مسلم أيضاً: "أن النبي ﷺ سئل عن أفضل الأعمال بعد الجهاد، فقال:
"مؤمن في شعب من الشعوب يعبد الله، ويدع الناس من شره".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"من أحب أن يزحزح ^(١) عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"

- وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه يقول:

"والله ما يحلُّ لك أن تؤذى كلباً أو خنزيراً بغير حق، فكيف تؤذى مسلماً؟!"

(سير أعلام النبلاء: ٤٢٧/٨)

- وقد روي عن يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه أنه قال:

"ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال؛ لتكون من المحسنين، أحدهما: أنك إن لم تتفعه فلا تضره.
والثانية: إن لم تسره، فلا تغمه، والثالثة: إن لم تمدحه، فلا تدمه".
(تشبيه الغافلين: ص ١٢٤)

(١) يزحزح: أي يبعد وينجو.

ثانياً: الاستهزاء

الاستهزاء اصطلاحاً: "هو ارتياد أو طلب الهُزءِ دون أن يسبق من المهزوء منه فعلٌ يقتضي ذلك" (المفردات للراغب: ص ٥٤٣)

قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَاَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]

وقال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا

نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [١٤] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١) [البقرة: ١٤ - ١٥]

- قال ابن كثير رحمته الله: "قال بعض أهل العلم:

"إن المنافقين إذا خلوا إلى مردتهم، قالوا: إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزئون، فأخبر الله تعالى أنه يستهزأ بهم، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا من عصمة دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة من العذاب والنكال" (تفسير ابن كثير: ٥٢/١ - ٥٣)

(١) وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: نكر الراغب: "أن المعنى يجازيهم جزاء الهُزءِ، ومعناه: أنه أمهلهم مدة ثم أخذهم فسمى إمهالهم استهزاء من حيث إنهم اغتروا به اغترارهم بالهُزءِ، فيكون ذلك كالاستدراج من حيث لا يعلمون، ومذهب أهل السنة إثبات صفة الاستهزاء لله صلى الله عليه وسلم حقيقة علي ما يليق بجلاله مع إثبات لازمها، وقال القرطبي: سمي العقوبة باسم الذنب، والعرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم: ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا، فسمى انتصاره جهلاً، والجهل لا يفتخر به عاقل، وإنما قاله ليزدوج الكلام، وقيل: "الله يستهزأ بهم في الآخرة، يفتح لهم باب جهنم إلى الجنة، ثم يقال لهم: تعالوا، فيقبلون يسبحون في النار، والمؤمنون على الأرائك، وهي السرر ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فيضحك المؤمنون منهم" (مفردات الراغب: ص ٥٤٢) و(تفسير القرطبي: ١/١٤٦)

- وقال العلامة الشيخ مرعي في أقاويل الثقات: "الاستهزاء من باب العيب والسخرية، فمعنى ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي يجازيهم علي استهزائهم، وهو من باب المشاكلة في اللفظ ليزدوج الكلام كـ ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، و﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]

والمعنى: يعاملهم معاملة المستهزئ، أما في الدنيا: فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإهمال. وأما في الآخرة فيروى أنه يفتح لأحدهم باب الجنة فيسرعه نحوه، فإذا سار إليه سدّ دونه، ثم يفتح له باب آخر، فإذا أقبل عليه سدّ دونه. وهذا الذي قاله علي طريقة الخلف، وأما مذهب السلف فلا يؤولون ولا يكيفون، فيؤمنون بما أخبر، لا كما يخطر في أوهام البشر"

(غذاء الألباب: ١/١٣١)

• الفرق بين السخرية والاستهزاء:

قال البعض: "إن السُّخْرِيَّةَ والاستهزاء معناهما واحد، وعلى ذلك فسَّرَ كثيرون: السُّخْرِيَّةَ بالاستهزاء^(١)، ولكن الواقع اللغوي وتأمُّل ما ورد من ذلك في القرآن الكريم يشيران إلى وجود نوع من الفرق بينهما. ويتمثل هذا الفرق في أن الهزاء: "هو إظهار الجَدِّ، وإخفاء الهزل فيه"

(التوقيف على مهمات التعاريف: ص ٣٤٣)

أي أنه يكون القول المصحوب بسوء النِّيَّةِ، ولا يشترط فيه أن يسبقه فعلٌ من أجله يُسْتَهْزَأُ بصاحبه من أجل ذلك الفعل.

أما السُّخْرِيَّةُ فإنها تكون بالفعل أو بالإشارة، وتكون بالقول، ويسبقها في العادة فعلٌ من أجله يسخر بصاحبه، ويتلخَّص من ذلك أن بينهما فرقا من جهتين:

الأولى: السُّخْرِيَّةُ تكون بالفعل وبالقول، والهزاء لا يكون إلا بالقول، الثانية: أن السُّخْرِيَّةَ يسبقها عملٌ من أجله يسخر بصاحبه، أما الاستهزاء فلا يسبقه ذلك.

(الفروق لأبي هلال العسكري: ص ٢٤٩)

• الاستهزاء بالله أو بشرعه أو برسله

رأينا في هذا الزمان ومن قبله بزمان من يستهزئون بالرسل والأنبياء، وبشرع الله الحكيم، ولم يسلم منهم حتى رب العالمين، وهذا من الكفر الواضح البيِّن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا

دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى

الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ [المائدة: ٥٧-٥٨]

- وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا

آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزُؤًا ﴿٥٦﴾ [الكهف: ٥٦]

- وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَأْتُمْ إِنَّا لِلَّهِ مُخْرِجٌ مَّا

تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا

قَدْ كُفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغْفَبُ طَائِفَةٌ بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦]

(١) وممن ذهب إلى هذا ابن كثير ؑ في "تفسيره" (٤/٤): حيث فسَّرَ "يستسخرون" بـ "يستَهْزِئُونَ"

• وسبب نزول هذه الآية

ما ذكره ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: "ما رأيت مثل قرأنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبين عن اللقاء، فقال رجل في المسجد: "كذبت ولكنك منافق"، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن، فقال عبد الله بن عمر: "وأنا رأيتُه مُتعلِّقاً بحَقِّ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تتكبه الحجارة وهو يقول: "يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون"

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]

- وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا

أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ [الزخرف: ٦-٨]

- وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

"كان قوماً يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم، استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تَضَلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، حتى فرغ من الآية كلها"

- وفي "مسند الإمام أحمد" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لما كان ليلة أُسري بي وأصبحت بمكة، فَطَعْتُ بِأَمْرِي، وعرفت أن الناس مُكذِّبِي، فَقَعَدَ (١) معتزلاً حزيناً، قال: فمرَّ عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم"، قال: ما هو؟ قال: "إنه أُسري بي (٢) الليلة"، قال: إلى أين؟ قال: "إلى بيت المقدس"، قال: ثم أصبحت بين ظَهْرَانِينَا؟ قال: نعم، قال: فلم ير أنه يكذِّبه، مخافة أن يجده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: رأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم... " الحديث.

(١) في "المسند": "قَعَدَ"، وفي مجمع الزوائد: "قَعَدْتُ"

(٢) وفي رواية: "أسري به"

- وأخرج الإمام أحمد عن عروة بن الزبير أنه قال:

"قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حَضَرْتُهُمْ وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سقاه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا -، قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية، غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مرَّ بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: "تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جنتكم بالذبح" فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة ^(١) قبل ذلك ليرفوه ^(٢) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك، إذ طلع (عليهم) رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول: كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم"، أنا الذي أقول ذلك، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يقول وهو يبكي: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط".

(قال الشيخ أحمد شاكر رحمته الله: صحيح)

وقفه:

على كل من حضر مجلساً يستهزئ فيه بكتاب ربنا أو بسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم، أن ينهى عن هذا المنكر، ويأمرهم بالمعروف، ويبين لهم خطورة الأمر، فإن عجز عن ذلك فعليه أن يغادر هذا المجلس، حتى لا يكون من أهل هذه الآية، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]

(١) وصاة: بفتح الواو والصاد المهملة المخففة: الوصية.

(٢) ليرفوه: يسكنه، ويرفق به، ويدعو له.

• وعيد لمن استهزأ بالله أو بشرعه أو برسله

لقد توعدَّ رب العالمين في كتابه الكريم كل من تجرَّأ على الاستهزاء بشرعه أو بأنبياؤه - عليهم الصلاة والسلام-، توعدَّهم بالعذاب الأليم في نار الجحيم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ [١٠٣] ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [١٠٤] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ [١٠٥] ﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦]

وقال تعالى: ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٣٣] ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [٣٤] ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَلْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ ﴾ [الجاثية: ٣٣-٣٥]

وقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [٧] ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَهُ بِعَذَابِ الْإِيمِ ﴾ [٨] ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُؤًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [٩] ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الجاثية: ٧-١٠]

- وجاء في "فتاوى العقيدة" للشيخ ابن عثيمين رحمته (ص ١٩٤ - ١٩٥) أنه قال:

"وهذا العمل وهو الاستهزاء بالله أو رسوله ﷺ أو كتابه أو دينه، ولو كان على سبيل المزح، ولو كان سبيل إضحاك القوم، نقول: إن هذا كفر ونفاق، وهو نفس الذي وقع في عهد رسول الله ﷺ في الذين قالوا: ما رأينا مثل قرآننا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء... يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فنزلت فيهم ﴿ وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥]؛ لأنهم جاءوا إلى النبي ﷺ يقولون: "إنما كنا نتحدَّث حديث الركب نقطع به عناء الطريق".

فكان رسول الله ﷺ يقول لهم ما أمره الله به: ﴿ أَلَا لِلَّهِ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٦٥] ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فجانب الربوبية والرسالة والوحي والدين جانب محترم، لا يجوز لأحد أن يعبث فيه لا باستهزاء؛ بإضحاك ولا بسخرية، فإن فعل فإنه كافر؛ لأنه يدل على استهانتته بالله ﷻ ورسله وكتبه وشرعه، وعلى من فعل هذا أن يتوب إلى الله ﷻ مما صنع؛ لأن هذا من النفاق، فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره ويصلح عمله، ويجعل في قلبه خشية الله ﷻ وتعظيمه وخوفه ومحبته - والله ولي التوفيق."

• الاستهزاء بالمتزمين والمتزمات وبشرع رب العالمين

وهذا الأمر ليس وليد اليوم بل هو من قديم الأزل

وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أم هانئ رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، قال: كانوا يحذفون^(١) أهل الأرض، ويسخرون منهم

- وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلم الصحابة من لزم المنافقين والتحقيق من شأنهم.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي مسعود البديري رضي الله عنه أنه قال:

"أمرنا بالصدقة، قال: كنا نحامل، قال: فتصدَّق أبو عقيل بنصف صاع، قال: وجاء إنسان

بشيء أكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا

رياء. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ

سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]"

- وفي هذا الزمان لم يسلم كل من التزم بشرع الرحمن سواء من الرجال أو النساء، فكل من أطلق لحيته

وامتثل لأمر نبيه صلى الله عليه وسلم، أو من لبست حجابها طاعة لربها فإنه يستهزأ بهم، وتكال لهم التهم، وتصك

آذانهم بأقذر أنواع السبِّ والشتم، فعلى هؤلاء أن يصبروا على هذا الإيذاء، فهذا أمر لم يسلم منه

الأنبياء والمرسلين، بل تعدى حتى تناولوا على رب العالمين.

- فهؤلاء الذين يسخرون ويستهزئون من أهل الحق والدين، نُذَكِّرُهُمْ بقول رب العالمين، حيث قال في

كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٢٩ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ٣٠ ﴿وَإِذَا

انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهم﴾ ٣١ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ ٣٢ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ ٣٣ ﴿

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ٣٤ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ٣٥ ﴿هَلْ تُؤْبِكُمُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

[المطففين: ٢٩ - ٣٦]

(١) يحذفون: أصل الحذف هو الرمي بحصاة تكون بين الأصابع، والقصد أنهم يحتقرون أهل الحق ويسخرون منهم.

- **وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ما حكم الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله؟**

فأجاب رحمه الله: "الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله؛ لكونهم التزموا بذلك، مُحَرَّم، وخطير جداً على المرء؛ لأنه يخشى أن تكون كراهته لهم لكراهة ما هم عليه من الاستقامة على دين الله، وحينئذ يكون استهزؤه بهم استهزاء بطريقهم الذي هم عليه، فيُشبهون من قال الله عنهم: ﴿ **وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [٦٥] ﴿ **لَا تَعْتَدِرُوا قَدْحَكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**... ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

فإنها نزلت في قومٍ من المنافقين، قالوا: ما رأينا مثل قراننا هؤلاء - يعنون: رسول الله ﷺ وأصحابه - أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، فأنزل الله فيهم هذه الآية " (المناهي اللفظية: ص ١٠١)

• فالمستخف والمستهزئ بالإخوان عديم المروعة

- **يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله:** "من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالأمرء ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروعته".

(سير أعلام النبلاء: ٤٠٨/٨)

قال بعض الشعراء:

وأكره أن أعيبَ وأن أعاباً	أحبُّ مكارم الأخلاق جهدي
وشرُّ الناس من يهوى السبابا	واصفح عن سباب الناس حلماً
ومن حقر الرجال فلن يُهابا	ومن هاب الرجال تهيبوه

(أدب الدنيا والدين: ص ٣٠٣)

وفي الختام... لا بد أن نعلم جميعاً أن السخرية والاستهزاء بالغير مفتاح للشر، وصاحبها متوعّد بالويل.

فقد جاء الحديث الذي أخرجه ابن ماجه أن النبي ﷺ قال:

"إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على

يديه". (حسنه الألباني في الصحيحة: ١٢٣٢)

ثالثاً: المزاح المحرم

تعريف المزاح: المَزْحُ: الدُّعَابَةُ

وفي "المحكم": المَزْحُ نقيض الجدِّ، وفيه ثلاث لغات: "المزاح والمزاح والمزح

ونقل "شارح القاموس": "أن المزاح المشروع هو المباشطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية". اهـ، وقوله: "دون أذية" يخرج أنواع المزاح الممنوع.

(انظر لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس - مادة: مزح - فكه - دعب)

- ذُكِرَ في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ كان يُمَازِح ويضاحك أصحابه وأهل بيته ويداعبهم
ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"قالوا: يا رسول الله، إنك تُدَاعِبُنَا، فقال النبي ﷺ: نعم غير أنني لا أقول إلا حقا"

(صححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية: برقم ٢٠٢)

- بينما جاء في حديث آخر النهي عن المزاح

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي أيضاً بسند فيه مقال عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ
قال: **"لا تُمار أخاك ولا تمازحه"**
(ضعيف)

- وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمته الله بين الحديثين كما جاء في "فتح الباري" (١٣/٣) فقال:

"والجمع بينهما أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه، لما فيه من الشغل عن ذكر الله، والتفكير
في مهمات الدين، ويؤدي إلى قسوة القلب، والإيذاء، والحقد، وسقوط المهابة والوقار، والذي يسلم من
ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطيب نفس المخاطب ومؤانسته فهو المستحب". اهـ

وبعد هذه المقدمة علم أن المزاح نوعان (مزاح محمود، مزاح مذموم)

يقول ابن حبان رحمه الله كما في "روضة العقلاء" (ص ٧٧):

"والمزاح على ضربين:

- ١- المزاح المحمود: وهو الذي لا يشوبه (يخالطه) ما كره الله ﷻ ولا يكون باثم ولا قطيعة رحم.
- ٢- المزاح المذموم: وهو الذي يثير العداوة، ويذهب البهاء ويقطع الصداقة، ويجريء الدينء عليه، ويحقد الشريف به". اهـ بتصريف

- ويمكن تقسيم المزاح المحمود إلى نوعين:

الأول: المزاح المُستَحَبُّ: وهو الانبساط مع الغير من غير تنقيص أو تحقير، وهو مزاح فيه مصلحة مثل تطيب نفس المخاطب ومؤانسته.

الثاني: المزاح المُباح: وهو المزاح الذي يقصد به الترويح عن النَّفس، ويسلم من الحرام والمكروه

- أما المزاح المذموم فهو ينقسم كذلك إلى نوعين:

الأول: المكروه: وهو إذا أكثر الإنسان من المزاح المباح؛ تحوّل إلى مزاح مكروه.

الثاني: الحرام: وهو بيت القصيد والمعنى من الموضوع.

وهو المزاح الذي يزيح صاحبه عن الحق، ويخرجه عن حد الشريعة، إما بالكذب أو السخرية أو الترويح أو ما شابه ذلك، وقد يكون بالاستهزاء بأمر من أمور الدين أو بأهله،

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]

أمثلة على أنواع المزاح

١- المزاح المستحب:

كان النبي ﷺ يداعب من حوله ولكن لا يقول إلا حقا

وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه الترمذي في "الشمائل" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا، فقال النبي ﷺ: نعم غير أنني لا أقول إلا حقا"

(صححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية: رقم ٢٠٢)

- وفي رواية عند الإمام أحمد: **"إني وإن داعتكم فلا أقول إلا حقا"**

(صحيح الجامع: ٢٥٠٩)(الصحيحة: ١٧٢٦)

- يقول جابر رضي الله عنه كما عند البزار:

"كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي أو وعظ، قلت: نذير القوم أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه

ذلك رأيت أخلق الناس وجهاً، وأكثرهم ضحكاً^(١)، وأحسنهم بشراً"

- يقول الإمام الخطابي رضي الله عنه:

"وسئل بعض السلف عن مزح الرسول ﷺ، فقال: "كانت له مهابة، فكان يبسط الناس بالدعابة". اهـ

(غريب الحديث: ١٦٣/٢)

(١) وقوله: **"وأكثرهم ضحكاً"**: أي تبسماً، كما جاء في "مسند الإمام أحمد: **"أنه ﷺ لا يضحك إلا تبسماً"**، وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: **"ما رأيت**

رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهوته، إنما كان يبتسم"، وعند الإمام مسلم من حديث سماك بن حرب قال: **"قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه: أكننت تجالس**

رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كان طويل الصمت، وكان أصحابه يتناشدون الشعر عنده، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون، فيبتسم معهم إذا ضحكوا"

• ومن صور مزاح النبي ﷺ

ما أخرجه أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

"أن رجلاً استحمل^(١) رسول الله ﷺ، فقال: إني حاملك على وِلدِ الناقة، فقال: يا رسول، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق"

- قال صاحب عون المعبود رضي الله عنه:

"لما كان المتعارف عند العامة في بادي الرأي استعمال ولد الناقة فيما كان صغيراً لا يصلح للركوب، وإنما يقال للصالح الإبل تَوَحَّش الرجل على فهم المعنى...، فالإبل ولو كباراً أولاد الناقة، فيصدق ولد الناقة بالكبير والصغير". اهـ.
(عون المعبود: ١٣/٣٤٣)

- ويقول علي القاري رضي الله عنه: "أراد به المباشطة له والملاطفة"

- ومن مزاح النبي ﷺ ما ذكره صاحب "الإحياء" عن زيد بن أسلم قال:

"إن امرأة يقال لها: أم أيمن، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: "إن زوجي يدعوك، قال: ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ قالت: والله ما بعينه بياض، فقال: بلى إن بعينه بياض، فقالت: لا والله، فقال: بلى إن بعينه بياض، فقالت: لا والله، فقال: ما من أحد إلا وبعينه بياض"

(رواه ابن أبي الدنيا)

فالنبي ﷺ أراد البياض المحيط بالحدقة، وهي فهمت أنه البياض الذي على الحدقة ويسبب ضعف البصر (الماء على العين)

(١) استحمل: والمراد به أن يعطيه حمولةً يركبها.

- ومن مزاح النبي ﷺ ما أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه: "أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، كان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: إن زاهراً باديتنا^(١) ونحن حاضروه^(٢)، وكان النبي ﷺ يحبُّه، وكان رجلاً دميماً^(٣)، فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو^(٤) ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسداً^(٥)، فقال النبي ﷺ: لكن عند الله لست بكاسدٍ - أو قال: لكن عند الله أنت غالٍ وزاهراً ﷺ كان حراً، وقول النبي ﷺ: "من يشتري العبد" يقصد به أنه عبد الله، فهو يمازحه ولكن لا يقول إلا حقا.

- ومن مزاح النبي ﷺ ما أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية عن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال رسول الله ﷺ: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، تقول عائشة رضي الله عنها: فذهب عني رسول الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال ﷺ: إن ذلك كذلك، إن الله تعالى إذا أدخلهم الجنة حولهم أبقاراً" (حسنه الألباني في مختصر الشمائل: برقم ٢٠٥، وهو في الصحيحة: ٢٩٨٧)

- وفي رواية عند الترمذي أيضاً من حديث الحسن قال: "أتت عجوز النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز، قالت: فولت تبكي، فقال: اخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿عُرْبًا أُرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]

(١) باديتنا: أي يستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته.

(٢) حاضروه: أي حضروا المدينة له، وهذا من حسن المعاملة.

(٣) دميماً: قبيح الصورة مع كونه مليح السيرة.

(٤) لا يألو: لا يقصر.

() : رخيصاً لا يرغب فيه أحد.

• مزاح النبي ﷺ مع زوجاته

أخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدّموا فتقدّموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيتُ خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدّموا فتقدّموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقتي، فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك" (الصحيحة: ١٣١)

- يقول ابن كثير رضي الله عنه في "تفسيره" (٥٦٣/١):

"وكان من أخلاقه رضي الله عنه أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودّد إليها بذلك"

- وأخرج أبو يعلى وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت:

"أتيت النبي ﷺ بخزيرة قد طبختها له، فقلت لسودة: - والنبي ﷺ بيني وبينها - كُلي؛ فأبت، فقلت: لتأكلن أو لأطخن وجهك؛ فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ، فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها، فضحك النبي ﷺ فمرّ عمر، فقال يا عبد الله، يا عبد الله، فظن أنه سيدخل، فقال: قوما فاغسلا وجوهكما، فقالت عائشة رضي الله عنها: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ" (الصحيحة: ٣١٣١)

- وأخرج أبو داود والنسائي في "الكبرى" عن عائشة رضي الله عنها قالت:

"قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر من بنات لعائشة لعب، فقال: ما هذا يا عائشة؟، قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً لها جناحان من رقاد، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟، قالت: فرسي، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟! قالت: أما سمعت أن لسيلمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه"

(صححه الألباني في المشكاة: ٣٢٦٥)

- ومَرَّ النبي ﷺ على صهيب وبه رمَدٌ وهو يأكل تمرًا فقال له:

"أَتَأْكُل التمر وَأَنْتَ رَمِدٌ؟ فقال صهيب ﷺ: إِنَّمَا آكُلُ بِالشَّقِّ الْآخِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَتَبَسَّمَ ﷺ"

(أخرجه ابن ماجه بسند حسن، وحسنه الألباني في "سنن ابن ماجه": ١١٣٩)

- ومن مزاحه ﷺ كذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال:

"إِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِيُخَالِطَنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ، يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرِ (١)"

قال الترمذي رحمه الله في "الشمائل" (ص ٢٣٦): "وقفه هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يمازح، وفيه:

"... أَنَّهُ كُنِيَ غُلَامًا صَغِيرًا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَمِيرٍ "وفيه: "... أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يُعْطَى الصَّبِي

الطير ليلعب به، وإنما قال له النبي ﷺ: يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرِ؟ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ نُّغَيْرٌ

يلعب به فمات، فحزن الغلام عليه، فمازحه النبي ﷺ: يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرِ؟ "

- ومن مزاحه ﷺ ما رواه البخاري ومسلم عن محمود بن الربيع ﷺ قال:

"عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ"

قال النووي رحمه الله: "قال العلماء: "المجُّ طرح الماء من الفم بالترقيق - وفي هذا ملاطفة الصبيان،

وتأنيسهم، وإكرام آبائهم بذلك، وجواز المزاح...". اهـ باختصار (شرح مسلم: ١٦٢/٥)

(رواه الترمذي)

- وكان النبي ﷺ يقول لأنس بن مالك ﷺ: "يَا ذَا الْأَذْنَيْنِ"

قال أبو أسامة: يعني يمازحه.

(رواه البخاري ومسلم)

- وكان ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب ﷺ: "قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ"

(رواه مسلم)

- وكان ﷺ يقول لحذيفة ﷺ: "قُمْ يَا نَوْمَانَ"

(رواه البخاري)

- وكان ﷺ يقول لأبي هريرة ﷺ: "يَا أَبَا هِرِّ"

(رواه البخاري ومسلم)

- وكان ﷺ يقول لعائشة ﷺ: "يَا عَائِشُ"

(رواه البخاري ومسلم)

- وكان ﷺ يقول لأنجشة ﷺ: "يَا أَنْجِشِي، رُوَيْدُكَ سَوْكُكُ بِالْقَوَارِيرِ"

(١) النغير: هو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار، وقيل: "هو فرخ العصفور"، وقيل: "هو العصفور صغير المنقار، أحمر الرأس"

(لسان العرب - مادة: نغر).

وهناك من النماذج الأخرى لمزاح النبي ﷺ وما ذُكرَ فيه الكفاية، وهذا المزاح يكون لمؤانسة الغير وتطبيب خاطره، أو للمواساة أو التَّحَبُّب

ضوابط المزاح^(١)

أ) أن يكون صدقا:

في مجتمعنا نسمع كثيراً من الناس يتكلم بكلمات شبه مضحكة، وهي في حقيقتها كاذبة، بدعوى أننا نمزح ونفرح أنفسنا، وهم بذلك يقعون في شيء خطير، وذلك بحصد كثير من السيئات والافتراء على الأبرياء، لماذا نذهب بعيداً عن قدوتنا أجمعين إلى يوم الدين، كما حكم رب العالمين في قوله:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

- لقد كان النبي ﷺ يمزح، فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا؟" ^(٢) قال ﷺ: "إني لا أقول إلا حقا" (صحيح الترمذي: ١٩٩٠)

أخي المسلم... يا من تريد أن تمزح وتضحك، عليك بالصدق وأبشر ببیت في وسط الجنة إذا تركت الكذب في المزاح

- فقد أخرج أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول:

"أنا زعيم ^(٣) بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" (الصحيحة: ٢٧٣)

- وتوعّد النبي ﷺ كل من يحدث الناس بالكذب ليضحكهم

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له" (صحيح الجامع: ٧١٣٦)

(١) المزاح آداب وأحكام لأبي عبد الله السيد بن حمودة.

(٢) :

(٣) زعيم: كفيل وضامن.

٢) أن يكون نادراً:

لو أن إنساناً دار مع أهل الحبشة ليلاً ونهاراً ينظر إلى لعبهم، ويحتج بأن النبي ﷺ وقف لعائشة وأذن لها أن تنتظر للحبشة وهم يلعبون لكان هذا الإنسان مخطئاً؛ لأن ما وقع من النبي ﷺ كان نادراً وحكم النادر ليس كحكم الدائم.

- **يقول المباركفوري ﷺ كما في "تحفة الأحوذى" (٢٣٢/٥):**

"كان رسول الله ﷺ يفعله على الندرة، لمصلحة تطيب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتجاج إليه". اهـ

- **وأشده أبو الفتح البستي ﷺ:**

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ الْمَزْحَ فَلْيَكُنْ
يَجْمَ وَعَلَّهْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ
بِمَقْدَارٍ مَا تُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ

فالمزاح في حياة الإنسان كالمزح في الطعام، إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، فإذا أكثر من المزاح تحولت حياته إلى هزل لا جد فيه، وتذهب هيئته، ويستخف به.

- **يقول جابر بن عبد الله ﷺ في وصف النبي ﷺ:**

"كان طويل الصمت، قليل الضحك"
(رواه الإمام أحمد وهو في صحيح الجامع: ٤٦٩٨)

فعلى الإنسان أن يقتصد في المزاح، فلا يتركه بالكلية، أو أن يفرط فيه ويداوم عليه

- **يقول سعيد بن العاص لابنه:** "اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجري عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يفضي عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين"

- **ويقول الخطيب البغدادي كما في "الجامع لأخلاق الراوي" (١٥٦/١):**

"يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف، والضحك والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر؛ فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة"

- ويقول بدر الدين أبو البركات محمد الغزالي رحمه الله كما في "المزاح في المزاح" (ص ٥):
"فقد ورد في ذم المزاح ومدحه أخبار، فحملنا ما ورد في ذمه على ما إذا وصل إلى حد المثابرة والإكثار". اهـ

- ويقول الفيض الزبيدي رحمه الله كما في "تحفة الأحوزي" (٢٣٢/٥):
"وقد قال الأئمة: "الإكثار منه والخروج عن الحد مُخَلٌّ بالمروءة والوقار والتثَرُّه عنه بالمرّة والنقبُض (١) مخل بالسنة والسيرة النبوية المأمور باتباعها والافتداء بها، وخير الأمور أوسطها". اهـ

٣) اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب

يقول المناوي رحمه الله كما في "فيض القدير" (١٨/٣):
"المداعبة مطلوبة محبوبة؛ لكن في مواطن مخصوصة، فليس في كل أن يصلح المزاح، ولا في كل وقت يحسن الجد، قال:

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى
وإني إذا جد الرجال لذو جد

- وهذا ما كان عليه السلف الصالح

فقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن بكر بن عبد الله المزني قال:

"كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون (٢) بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال" (الصحيحة: ٤٣٥)

- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"إنني ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، فإذا بُغِيَ منه حاجة وجد رجلاً"

(المزاح في المزاح: ص ٢٤)

٤) أن يكون الممازح على فقه من المزاح

قال الماوردي رحمه الله كما في "فيض القدير" (١٣/٣): "العاقل يتوحى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما، أحدهما: إيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين، وهذا يكون بما أنس من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل، كما قال حكيم لابنه: "يا بني اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجري السفهاء، والتقصير فيه نقص بالمؤانسين، وتوحش بالمخالطين، والثاني: أن يبتغي من المزاح ما طرأ عليه وحدث به من هم، ومزاح النبي ﷺ لا يخرج عن ذلك.

() : أي الكف عن المزاح بالكلية.

() : (القاموس المحيط: /) .

٥) ألا يخرج عن حد المستحب أو المباح

قال الإمام النووي رحمه الله كما في كتابه "الأذكار" (ص ٣٤٣):

قال العلماء: "إن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه؛ لأنه يورث قسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، وما سلم من ذلك فلا مانع منه، فقد كان الرسول ﷺ يفعل نادراً للمصلحة وتطبيب النفس والمؤانسة، وهذا لا مانع منه قطعاً، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة، فاعتمد ما نقلناه عن العلماء وحققناه في هذه الأحاديث وبيان أحكامها، فانه مما يعظم الاحتياج إليه - وبالله التوفيق". اهـ

٦) ألا يمازح غير جنسه

- قال ابن حبان رحمه الله: "من مازح رجلاً من غير جنسه هان عليه، واجترأ عليه، وإن كان المزاح حقاً؛ لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مسلكه، ولا يظهر إلا عند أهله، على أني أكره استعمال المزاح بحضرة العامة، كما أكره تركه عند حضور الإشكال". اهـ (روضة العقلاء: ٨٠)

- قال ابن الغزوي رحمه الله: "فالعاقل يربا بنفسه عن سفاسف الأمور وعن مخالطة السفلة ومزاحهم مطلقاً، وكذلك عن المزاح من هو أكبر منه، لما ذكرنا من الحقد وخرق الحرمة، فإن البعض يمزح مع الكل بدون اعتبار، فللعالم حقه، وللكبير تقديره، وللشيخ توقيره، ولهذا يجب معرفة شخصية المقابل، فلا يمازح السفيه ولا الأحمق ولا من يعرف". اهـ (المزاح في المزاح)

- يقول سعيد بن العاص رحمه الله لابنه:

"يا بني، لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيا فيجتريء عليك"
(أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص ٤٤٤)

- وقال محمد بن المنكدر رحمه الله:

"قالت لي أمي: يا بني لا تمازح الصبيان فتهمون عندهم"
(ذكره الغزالي في الإحياء: ٣/١٢٨)

٧) ألا يخرج المزاح إلى حد الخلاعة

فإذا خرج المزاح إلى حد الخلاعة فهو عيب ومذمة، والله لا يحب الجهر بالسوء من القول
يقول الشافعي رحمته الله: "والمزاح لا تُردُّ به الشهادة ما لم يخرج في المزاح إلى عَصَّةِ النَّسَبِ، أو عَصَّةِ
 لَحْدٍ أو فاحشة". اهـ
 (السنن الصغرى للبيهقي: ٣/٣٠٨)
 فالنفس البشرية تحتاج من وقت لآخر إلى شيء من الترويح المنضبط البريء، والمزاح الهادف، الذي
 يجدد النشاط ويعمل على مواصلة السير على الطريق.

٨) ألا يمزح العلماء أمام عامة الناس

فقد ذكرت آثاراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والسلف، إلا أن مزاحهم كان بصورة فردية من نوع خاص
 من الناس، ولم يكن هذا المزاح على المنبر ولا الأسواق العامة، وذلك صيانة لعلمهم ورعاية لجانبهم
 ومكانتهم.

- قال الإمام أحمد رحمته الله:

"فلا ينبغي للعالم أن يستنبط عند العوام حفظاً لهم، ومتى أراد مباحاً فليستتر به عنهم"
 (الآداب الشرعية لابن مفلح: ٢/٢١٧)

- وقال ابن الجوزي رحمته الله:

"وإذا رأى العوام احد العلماء مُتَرَحِّصاً في أمر هان عندهم، فالواجب عليه صيانة علمه، وإقامة قدر العلم
 عندهم، **فقد قال بعض السلف**: "كنا نمزح ونضحك، فإذا صرنا يُقْتَدَى بنا فما أراه يسعنا ذلك". اهـ
 (صيد الخاطر: ١٨٣)

وأخيراً... يقول ابن الغزوي رحمته الله كما في "المزاح في المزاح" (ص ٣٧):

"ولا بأس به بين الإخوان بما لا أذى فيه، ولا ضرر، ولا غيبة، ولا شين في عرض، أو دين، قاصداً به
 حسن العشرة والتواضع للإخوان، والانبساط معهم، ودفع الحشمة بينهم من غير استهتار أو إخلال
 بمروءة أو نحوه استتقاصاً بأحد منهم، فقد قيل للخليل بن أحمد إنك تمازح الناس، فقال: الناس في سجن
 ما لم يتمازحوا، وفي الاقتداء بمن ذكر والاقتفاء بآثارهم أعظم بركة، وفي الخروج عن ذلك الحد أشد
 عناء وأبلغ هلكة، وخير الأمور أوساطها" اهـ

٢- المزاح المباح:

وهو يختلف عن المزاح المستحب في كونه يقصد به الترويح عن النفس، وليس له علاقة بتطبيب نفس المخاطب وموانسته " كالمزاح المستحب"، ويشترط فيه خلوة من المزاح المكروه أو الحرام وهذا هو المقصد من قول النبي ﷺ لحنظلة ؓ: **"ولكن ساعة وساعة"** وعلى هذا يكون المقصود من المزاح المباح هو الترويح عن النفس لتجديد نشاطها في طاعة الله.

- وكان علي بن أبي طالب ؓ يقول:

"رُوحوا القلوب، واطلبوا لها طرائف الحكمة، فإنها تملُّ، كما تملُّ الأبدان"

ويقول أيضاً: **"لا بأس بالمفاكهة، يخرج بها الرجل عن حد العبوس"** (المزاح في المزاح: ص ٢٤)

ويقول عبد الله بن مسعود ؓ: **"أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أكره عمى"**

ويقول أسامة بن زيد ؓ: **"رُوحوا القلوب تعي الذكر"**

يقول بدر الدين أبو البركات محمد الغزي ؓ في كتابه **"المزاح في المزاح"**:

"يُنْدَب إلى المزاح بين الإخوان والأصدقاء والخلآن، لما فيه من ترويح القلوب، والاستتناس المطلوب، بشرط أن لا يكون فيه قذف، ولا انهماك فيه يُسْقَطُ الحشمة ويقلل الهيبة، ولا فحش يورث الضغينة، ويحرك الأحقاد الكمينية"

وقد أبرز ابن الجوزي في مقدمة كتابه **"أخبار الحمقى والمغفلين"** دوافع أساسية لتأليف

مؤلفه **ومن جملتها:** "أن يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المنجوسين حظوظاً يوم القسمة،

فإن النفس قد تمل من الدعوب في الجد، وترتاح إلى البعض المباح من اللهو..."

(أخبار الحمقى والمغفلين: ص ١٦)

وفي هذا يقول أبو العتاهية ؓ:

لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ مُصْرَفَةً
إِلا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

• ومن فوائد المزاح المباح

(١) حل المشاكل الأسرية: فإذا ما غضب أحد الزوجين وتأزم الأمر، فإن الممازحة الخفيفة تزيل هذه الوحشة وترجع المودة بين الزوجين.

(٢) يثاب عليه المرء إن صادف مصلحة مثل تطيب نفس المخاطب ومؤانسته.

(٣) قد ينفع المزاح أحياناً في بعض المهن كالتب مثلاً، إذ تجد المريض وقد ساءت حالته وعبس وجهه لما به من مرض وكرب فيخفف الطبيب عنه بطريقة يؤانسها ويطمئنه بها فيعطيه أملاً في الشفاء.

(٤) استلانة قلوب الآخرين والوصول إليهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا

الْقَلْبُ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال النبي ﷺ: "يا أبا عمير، ما فعل النغير"

(رواه البخاري ومسلم)

(٥) تقوية البديهة واستثارة الذكاء: فإن المزاح الذي فيه تعريض وتورية وكناية... ونحوه، يشحذ الذهن

ويقوى البديهة، ومدى نباهة الممازح وتيقظه، وهذا مأخوذ من عدة أدلة، منها: قول الرجل: "يا رسول

الله، احملني على بعير، وقول النبي ﷺ له: "إني حاملك على ولد الناقة، فقال: يا رسول

الله، ما أصنع بولد الناقة، فقال رسول الله ﷺ: "وهل تلد الإبل إلا النوق" (رواه الترمذي وأبو داود)

(المزاح آداب وأحكام لأبي عبد الله السيد بن حمودة: ص ١٤٠/١٤٢)

ومن فوائد المزاح أيضاً ما ذكره ابن حبان رحمته الله فقال:

"إذا كان من غير معصية يُسَلِّي الهَمَّ ويرقع الخُلَّةَ^(١)، ويحيي النفوس، ويذهب الحِشْمَةَ، فالواجب على

العاقل أن يستعمل من المزاح ما يُنسَبُ بفعله إلى الحلاوة، ولا ينوي به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة

أحد". اهـ (روضة العقلاء: ص ٨٠)

(١) الخُلَّة: الصداقة، أي يرقع ويصلح ما مزقته الملالة والسأم من الصداقة والمحبة.

٣- المزاح المكروه:

قال الإمام النووي رحمه الله مُتَحَدِّثًا عَنْ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْمَزَاحِ: "قال العلماء:

"إن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه؛ لأنه يورث قسوة القلب ويشغل عن ذكر الله، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، وما سلم من ذلك فلا مانع منه، فقد كان الرسول ﷺ يفعل نادراً للمصلحة وتطبيب النفس والمؤانسة، وهذا لا مانع منه قطعاً بل هو سنة مُسْتَحَبَّةٌ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ". اهـ (الأذكار للنووي: ص ٣٤٣، وفتح الباري: ١٠/ ٥٤٣)

فلا بأس للمسلم أن يمزح ويمزح ويتفكه لكن لا يجعل ذلك عادته ويملاً به صباحه ومساءه، والإكثار من المزاح يخرج المسلم من مهمته الأساسية التي خُلِقَ من أجلها ألا وهي عبادة الله، وإقامة شرعه في الأرض، كما أن الإفراط والمداومة عليه تورث قسوة القلب، وتسقط المهابة والوقار.

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي نر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"إياك وكثرة الضحك، فإنه يميم القلب، ويذهب بنور الوجه"

- وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميم القلب"

(الصحيحة: ٥٠٦)

- وفي رواية: "فإن كثرة الضحك فساد للقلب"

- يقول ابن الخطاب رضي الله عنه:

"مَنْ كَثُرَ ضُحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ" (الإحياء: ٣/ ١٧١)

• علاج المبتلى بكثرة المزاح

١) **أن يجاهد نفسه ويعزم على ترك المزاح، ويستعين بالله تعالى في ذلك**

فإذا كانت هناك إرادة قوية وعزيمة على ترك المزاح، فإن الله يوفق من هذا حاله، فالله تعالى يقول

عن المنافقين: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾

[التوبة: ٤٦]

فلو كان لهم رغبة في الخروج لأعدوا العدة لذلك، ولكن اطلع الله على قلوبهم؛ فعلم أنهم غير عازمين على الخروج؛ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ"

فعلى الإنسان أن يدعو الله ويستعين به على ترك هذا المرض، فالمُعَان من أعانه الله، والمعصوم من

عصمه الله، كما عليه أن يجاهد نفسه في ذات الله، **قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾**

[الحج: ٧٨]

فمن سنة الجهاد البداءة بالعدو الأقرب فالأقرب، والنفس الأمارة بالسوء بين جنبي الإنسان هي أقرب أعدائه إليه، فليبدأ بمجاهدتها وقمعها

وقد جاء في "مسند الإمام أحمد" والترمذي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"المُجَاهِد مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ"
(الصحيحة: ٥٤٩)

- **وعند أبي نعيم من حديث أبي نر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**

"أفضل الجهاد: أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله ﷻ"
(الصحيحة: ١٤٩٦)

- **وكان حازم رضي الله عنه يقول: " قاتل هواك أشدَّ ممَّا تقاتل عدوك"**
(الحلية: ٢٣١/٣)

٢) **إشغال الوقت بالأمور الجادة النافعة له ودينه**

مثل طلب العلم، والاجتهاد في حفظ القرآن، وتعلم السنَّة، وحضور المحاضرات والدروس الشرعية، والمحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل، والسعي في قضاء حوائج الناس: من المساكين والفقراء والأرامل والأيتام؛ فكل هذا سيصرفه عن كثرة الممازحة والضحك.

٣) أن يستشعر ثقل الأمانة الملقاة على عاتقه تجاه أمته

فالأمة الإسلامية الآن قد أصابها الوهن والضعف، وتحتاج إلى جهود ضخمة لإنقاذها من التردّي والسقوط، وهذه مسئولية كل فرد من أفراد المجتمع، فإذا استشعر كل إنسان منا خطورة الأمر، فإنه سيتوجه بكلّيته لإصلاح أهله وأصدقائه وأحبابه ومجتمعه بقدر المستطاع، ولن تجد وقت للهزل والتهريج المقيت، والضحك الكثير، والاهتمامات التافهة.

٤) تجنب الشخصيات الهزلية المعروفة بكثرة الضحك والتهريج

فعلية أن يبتعد عن هؤلاء وعن مجالسهم مع محاولة النصح لهم ولمجالسيهم، وبعض الدعاة يجعل إضحاك الناس وسيلة لكسب قلوبهم، وهذا ليس بعيب، وإنما العيب أن هذا الداعية يواظب على هذا حتى يُعرَفَ بهذا، وتجد العوام يقولون: "أين الشيخ الذي يُضحكنا"، وهذا أمر ينبغي أن يتنزه عنه الدعاة إلى الله، فإن دين الله عظيم متين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٣-١٤]، وقال تعالى أيضاً: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣]

- وكان النبي ﷺ يقول فيما رواه البخاري ومسلم:
"لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً"

٥) الصحبة الصالحة ومجالسة أهل العلم

فالإنسان إذا صاحب الأخيار من العلماء وأهل الصلاح وجالسهم، فإنه يستحي من الممازحة، ومع كثرة المصاحبة والمجالسة يعتاد الجد ويترك المزاح.

- وقد أخرج أبو النعيم في "الطية" عن خلف بن سالم قال:

"كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح مع مستمليه، فتنحّ أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتّحّح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل، فضرب يزيد على جبينه، وقال: ألا أعلنتوني أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح"

٦) التأمل في واقع المسلمين

إذا نظر هؤلاء إلى واقع الأمة، وكيف ابتعد الناس عن دينهم، وكيف تخلّفت الأمة في جميع المجالات، وكيف يتعرّضون للقهر والإيذاء، وما يحاك لهم من تأمر خبيث، وكيف يتعرضون لإبادة جماعية في كثير من البلدان؟! فإذا تأمل الإنسان الهزلي في هذا الواقع المرير للأمة الإسلامية، فإنه ولا بد سيكون له الأثر في تغيير شخصيته الهزلية.

٧ أن يعلم أن كثرة المزاح تذهب ببهائه، وتسقط مروءته ووقاره

وهذا حال كل من عرف بكثرة الضحك؛ فتراه يسقط من الأعين، ويكون مهتز الشخصية، ومُحتقراً بين الناس، لا يُقدرونه ولا يُوقرونه

- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من مزح أُستخف به" (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص ٤٤٣)

- ويقول الأحنف بن قيس رضي الله عنه: "من كثر كلامه وضحكه ومزاحه؛ قلت هيئته"

- ويقول أبو الحسن الماوردي رضي الله عنه:

"وأما الضحك، فإن اعتياده شغل عن النظر في الأمور المهمة، مذهل عن الفكر في النوائب الملمة، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وسم به خطر ولا مقدار". اهـ (أدب الدنيا والدين: ص ٢٨٥)

فمن يرضى أن يكون هذا حاله بين الناس!؟

٨ معرفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم في المزاح

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يمازح الأطفال والأصحاب والزوجات، ولكن كان مزاحه صدقاً وحقاً، وكان نادراً، وأن يكون المقصود منه هو الانبساط وتطبيب النفس وموانسة الغير.

٩ معرفة أحوال الناس والوقت المناسب للمزاح

فلينظر لحال الناس فلا يمازح السفیه والأحمق، ولا من لا يعرف حاله، ولا العالم الجليل، ولا الشيخ الوقور، فيعطي كل ذي حق حقه، وينزله منزله اللائق به

- يقول أبو الليث السمرقندي رضي الله عنه:

"ولا تكثر المزاح، فإن فيه ذهاب المهابة، ويذمك عند الصلحاء، ويجريء عليك السفهاء، وتنسب إلى الخفة، ولا تمازح من لم يكن بينك وبينه مخالطة، ولم تعلم أخلاقه، ولا بأس بأن تمازح مع أقرانك وجلسائك في غير مأثم ولا إفراط، فإن خير الأمور أوسطها؛ لأن ذلك أولى أن لا تنسب إلى النقل ولا إلى الخفة"

(بستان العارفين: ص ٤١٩)

- أما عن وقت المزاح، فليتخير الوقت المناسب، فلا يمزح في وقت الجد، والله در القائل:

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى
واني إذا جد الرجال لذو جد

١٠. التفكير في أحوال الآخرة

مَنْ تَفَكَّرَ فِي حَالِهِ عِنْدَ نَزُولِ الْمَوْتِ بِهِ وَمَعَانَاةِ السُّكْرَاتِ، وَسَوَّالِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ فِي الْقَبْرِ، وَقَبْرِهِ هَلْ هُوَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَمْ حَفْرَةٌ مِنْ حَفْرِ النَّيْرَانِ، وَحَالِهِ عِنْدَ النَّشْرِ وَالْبَعْثِ، وَحَالِهِ عِنْدَ الْوُقُوفِ فِي أَرْضِ الْمُحَشَّرِ، وَتَطَايِيرِ الصَّحْفِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ كِفْتَيْ الْمِيزَانِ، وَعَرْضِهِ عَلَى الدِّيَّانِ سَبْحَانَهُ، وَالْمُرُورِ عَلَى الصَّرَاطِ، وَحَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَحَالِ أَهْلِ النَّارِ؛ لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ سَيُغَيِّرُ مِنْ حَالِهِ

فكثرة الضحك تدل على الغفلة عن الآخرة، **والنبي ﷺ يقول كما عند البخاري ومسلم:**

"لو تعلمون ما أعلم؛ لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً"

- **وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:**

"دخل رسول الله ﷺ مُصَلِّياً، فرأى ناساً كأنهم يكتشرون^(١)، فقال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هانم اللذات لشغلكم عما أرى"

- **وأخرج ابن حبان في "صحيحه" من حديث أبي زر رضي الله عنه أنه قال:**

"قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت، ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها، ثم اطمأن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً، ثم لم يعمل"

- **وقد روي عن الحسن رضي الله عنه: "أنه كلما مرَّ على شاب وجده يضحك، فقال له الحسن، هل جزت**

الصراط؟ قال الشاب: لا، قال الحسن: هل جاءك كتاب من الله فيه براءة من النار؟ قال الشاب: لا، قال الحسن: فعلام الضحك؟! فما رأي هذا الشاب ضاحكاً قط.

() يكتشرون: أي يضحكون حتى بدت نواجذهم.

ورأي أحد الصالحين رجلاً مستغرقاً في الضحك فقال له: "هل أتاك أنك ترد جهنم؟ قال: نعم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فقال له: وهل أتاك أنك تتجو منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟! فما رُوي ضاحكاً" (الإحياء: ١٧٢/٣)

- **وهاهو صلة بن أشيم:** "كلما مرَّ على شباب وجدهم يلعبون ويضحكون، فقال: يا إخواناه! اجتمعوا إليّ، فقال لهم: ما تقولون في قوم أرادوا سفراً (يقصد الموت والرحيل عن الدنيا)؟ فحادوا عنه نهائياً وناموا عنه ليلاً، ماذا تقولون؟ أصابوا أم أخطأوا؟ ثم مر عليهم في اليوم التالي، فوجدهم يلعبون ويضحكون، فقال لهم مثل ما قال، ثم مر عليهم في اليوم الذي بعده، فوجدهم يلعبون ويضحكون، فقال لهم مثل ما قال، فقال شاب منهم: والله إن صلة يعيننا بهذا الخطاب، فرجعوا عن اللعب إلى طاعة الله" فلاي شيء خلقنا؟ هل خلقنا للعب؟ يأتيك الجواب: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وقد جاء في الحديث: "وما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها" (١)

فكثرة الضحك كما أنها تميمت القلب، فإنها كذلك تورث الغفلة عن الآخرة ونسيان الموت؛ لذا كان السلف الصالح يحذرون من كثرة الضحك والغفلة عن الآخرة كما مرَّ بنا

- **يقول محمد بن واسع:** "إذا رأيت رجلاً في الجنة يبكي، ألسنت تعجب من بكائه؟ قيل: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه"

- **ومرَّ أبو يعلى على رجل يكثر من الضحك فقال له:**

"أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار"

فجدير بمن كان الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وباطن الأرض مستقره، وأرض المحشر موقفه، ويوم القيامة موعده، والجنة والنار مورده؛ أن لا يكون له فكر إلا في ذلك والاستعداد له.

(١) هذا الحديث أخرجه الترمذي وأبو نعيم في "الحلية" والبيهقي في "شرح السنة" بسند ضعيف، لكن حسن هذا الحديث الشيخ الألباني، فقال: ﴿: "والحديث له شاهدان هو بهما حسن" (الصحيحة: ٩٥٣).

تنبيه:

ليس المقصود من عرض ما سبق هو النهي عن الضحك والمزاح بالكلية، وقد مرَّ بنا أن النبي ﷺ كان يمزح، ولكن المقصد هو عدم الإفراط فيه والمداومة عليه، فإن هذا يقسي القلب.

وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **"لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب"** (الصحيحة: ٥٠٦)

فإذا ابتلي الإنسان بكثرة الضحك وقسوة القلب، فلا علاج له إلا بذكر الموت.

- يقول القرطبي رضي الله عنه في كتابه "التذكرة":

"تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب"

- ثم ذكر القرطبي رضي الله عنه أثراً عن صفية رضي الله عنها أنها قالت:

"جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها تشتكي قسوة قلبها، فقالت لها: اكثري ذكر الموت؛ يرق القلب، ففعلت ذلك؛ فرق قلبها" (التذكرة: ص ١٢)

- وجاء رجل إلى أم الدرداء رضي الله عنها يستصحبها فقال:

"إني لا أجد في قلبي داء لا أجد له دواء، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً، فقالت له: اطلع في القبور، واشهد الموت"

- ويقول مطرف الهذلي رضي الله عنه: "كانت عجوز متعبدة في عبد القيس، فعوتبت في كثرة إتيانها القبور، فقالت: "إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور وكأني أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفّرة، وإلى تلك الأجساد البالية المتغيّرة وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من منظر."

أحبتني في الله... إن ذكر الموت يوقظ القلوب من نسيانها، ويزجر النفوس عن التماذي في شهواتها، ويأخذ النواصي لطاعة ربها.

١١) التفكير فيما يؤول إليه المزاح

فكثرة المزاح كما أنها مسلبة للبهاء والوقار، فإنها كذلك مقطعة للصدقة، وتورث الضغينة، وتثبت الغل
يقول أبو النواس رضي الله عنه:

مُتْ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرٌ
لِكُ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ
رُبَّمَا يَسْتَفْتِحُ الْمَرْحُ مَغَالِيقَ الْحِمَامِ^(١)
(المزاح في المزاح: ص ٧)

- ويقول أبو طالب المكي رضي الله عنه في كتابه "قوت القلوب" (ص ١٣٤):

"وعن جماعة من السلف أنهم قالوا: "إن تسعة أعشار السلامة في الصمت، ويقال: "كل كلمة من هزل أو مزح أو لغو يوقف العبد عليها خمس مواقف بتوبيخ وتقرير، أولها أن يقال له: "لم قلت كلمة كذا، أكنت فيما يعينك، والثانية: هل نفعتك إذ قلتها؟ والثالثة: هل ضررتك لو لم نقلها؟ والرابعة: ألا سكت فريحت السلامة من عاقبتها؟ والخامسة: هلا جعلت مكانها قول: "سبحان الله، والحمد لله، فغنمت ثوابها"

١٢) تغيير الموضوع الذي قاد إلى الضحك إلى موضوع آخر مفيد

فإذا رأى أن الحاضرين قد تجاوزوا حد الاعتدال في الضحك، وأسلموا أنفسهم لدواعيه، فيتسلل هو إلى قلوبهم بالأسلوب المناسب لنقلهم إلى عالم الجد، واستثمار الوقت بقراءة في كتاب نافع، أو بطرح موضوع مهم للنقاش وإبداء الآراء أو دعوة للاتفاق على عمل إصلاحي خيري... وغير هذا من الأمور التي يحبها الله تعالى ويرضاها.

١٣) فإذا بلغ السيل الزبى

وجاوز الأمر حدة بأن أبى الجالسون إلا الإغراق في الضحك، والمعنى في طريق الغفلة، فعليه أن يقوم من المجلس ويفارقه حماية لنفسه، ووقاية لقلبه من الفساد، بعد أن يؤدي ما عليه من واجب التوجيه والنصح.

(١) : بكسر الحاء، يعني الموت.

٤- المزاح المحرم: (وهو المقصود من الحديث)

وهو المزاح الذي يزيح صاحبه عن الحق، ويخرجه عن حد الشريعة إما بالكذب أو السخرية أو الترويع، أو هتك الأعراض، والتناول على الغير، والهمز واللمز... وما شابه ذلك، وهذا النوع كرهه العلماء لما فيه من الخوض في الأعراض، واستجلاب الضغائن، وإفساد العلاقة بين الصديقين، وتعكير الصفو بين الأخوين.

- يقول حسام الدين الواعظي المتوفى (سنة ٩٩٠ هـ):

واحذر من المزح كم في المزح من خطرٍ
كم من صديقين بعد المزح فاختصما

- وقال بعضهم:

مازح صديقك ما أحب مزاحا
فقرابا مزح الصديق بمزحه
وتوق منه في المزاح مزاحا
كانت لباب عداوة مفتاحا

- فالمزاح المحرّم بذر العداوة

يقول خالد بن صفوان رضي الله عنه:

"المزاح سبب النُّوكى، وقال: "وكان يقال لكل شيء: بذر، وبذر العداوة المزاح"

• صور من المزاح المحرم

١) المزاح في الدين

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذْنَا هُزُوًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]

- قال القرطبي رحمته الله في تفسير في هذه الآية:

"في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد، وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح والأئمة بعده".

- وقال ابن خويز مناد: "وقد بلغنا أن رجلاً تقدّم إلى عبيد الله بن الحسن - وهو قاضى الكوفة - فمأزحه عبيد الله، فقال: جُبْنَك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش؟ فقال له: لا تجهل أيها القاضي، فقال له عبيد الله: وأين وجدت المزاح جهلاً؟ فتلا عليه الآية السابقة، فأعرض عنه عبيد الله لأنه رآه جاهلاً لا يعرف المزح من الاستهزاء، وليس أحدهما من الآخر بسبيل" (تفسير القرطبي: ١/٤٤٧)

- وقال المناوي رحمته الله كما في "فيض القدير" (١٣/٣): "قال ابن عربي رحمته الله:

"ولا يستعمل المزاح أيضاً في أحكام الدين، فإنه جهل، قال تعالى مخبراً عن قصة البقرة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذْنَا هُزُوًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، قال: "معناه لا

أمزح في أحكام الدين، فإن ذلك فعل الجاهلين، ولكن اذبحوها فستروا الحقيقة فيها"

- قال ابن القيم رحمته الله في كتابه "إعلام الموقعين" (١٢٥/٣):

"وحاصل الأمر أن اللعب والهزل والمزاح في حقوق الله تعالى غير جائز، فيكون جدُّ القول وهزله سواء، بخلاف جانب العباد، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح مع الصحابة وبياسطهم، وأما مع ربه تعالى فيجدُّ كلَّ الجدِّ". اهـ

ومما تقدّم يتضح لنا مدى خطورة من يستهزأ ويمزح في أمور الدين وشعائر الإسلام وحملة السنّة والقرآن وقد قال تعالى محذراً ومبيناً خطورة الأمر: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٦٥ ﴿لَا تَعْتَدِرُوا قَدِّ كُفْرَتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

وسبب نزول هذه الآية ما ذكره ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال:

"قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: "ما رأيت مثل قرأنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المسجد: "كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول صلى الله عليه وسلم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٥-٦٦]، فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: "أنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾... الآيات" اهـ.

- ويدخل في هذا كل من يستهزأ أو يضحك من الملتزمين والملتزمات بشرع الله تعالى، كالاستهزاء باللحية أو الحجاب أو الثوب القصير... وغير هذا من سنن الهدى الظاهر.

- وهناك من كتب الأدب التي تساهلت في المزاح في الدين، كالمزح بشيء ذكر فيه القرآن، أو برسول من رسل الله.

- يقول الشيخ سلمان العودة - حفظه الله - في كتاب "المزاح" (ص ٣١):

"... ولو فتحت أي كتاب من كتب الأدب ككتاب "البيان والتبيين"، "ورسائل الجاحظ"، "وبلوغ الأدب"، و"الأغاني للأصفهاني"... إلى غير ذلك، لوجدت كثيراً منها مليئاً بالقصص والطرائف والأخبار والنوادر، التي تنتدر بالأنبياء أو المرسلين أو بالقرآن، ومع الأسف فإن بعض الناس قد يقرؤها ثم ينقلها، ويرويها دون أن ينقطن إلى تحريم ما جاء فيها" اهـ.

تحذير:

حذر الله تعالى من مجالسة هؤلاء الذين يمزحون ويستهزئون بالدين أو حملته، فقال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٤٠]

٢) الكذب في المزاح

أخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" وابن أبي شيبة والطبري في "تهذيب الآثار" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الكذب لا يصلح منه جدٌ ولا هزلٌ"، اقرؤا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

اعلم أخي الحبيب.. أن الكذب كله بغیض، سواء أكان في جد أم هزل أم مزاح - إلا ما استثناه الشرع -؛ لأن الكذب في الهزل والمزاح يعود النفس على قبول الكذب، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من الذي يكذب ليضحك الناس

- وفي "مسند الإمام أحمد" وعند أبي داود والترمذي من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويلٌ له ويلٌ له"

(صحيح الجامع: ٧١٣٦)

- قال المناوي رحمته الله: "أخذ الشافعية من هذا الخبر وما أشبهه أن اعتياد أكثر حكايات تضحك أو فعل خيالات كذلك حارم للمروءة راد للشهادة، وصرح بعضهم بأنه حرام، وآخرون بأنه كبيرة تمسكاً بهذا الخبر، وفرضه البعض في كلمة في الغير بباطل يضحك بها أعداءه؛ لأن فيه حينئذ من الإيذاء ما يربو على كثير من الكبائر... "ليضحك به القوم ويل له ويل له" كرهه إيداناً بشدة هلكته؛ وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم، وجماع كل فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميمت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء: "إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة". اهـ

(فيض القدير: ٣٣٦/٢)

- ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

"لا يبلغ رجل حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق، والكذب في المزاح"

(أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص ٤٤٣)

وسئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته :

عمن يتحدث بين الناس بكلام وحكايات مفتعلة كلها كذب، هل يجوز ذلك؟

فأجاب رحمته : أما المتحدّث بأحاديث مفتعلة ليضحك الناس أو لغرض آخر: فإنه عاصٍ لله ورسوله، وقد

روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إنّ الذي يُحدّث فيكذب ليضحك القوم، ويلّ له ويلّ له، ثم ويلّ له"

- **وقد قال ابن مسعود:** "إنّ الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا يعدّ أحدكم صبيّه شيئاً ثم لا يُنجِزه،

وأما إن كان في ذلك ما فيه عدوان على مسلم وضرر في الدين: فهو أشدّ تحريماً من ذلك. وبكل حال

ففاعل ذلك مستحق للعقوبة الشرعية التي تردّعه عن ذلك - والله أعلم" (مجموع الفتاوى: ٢٣/٢٥٦)

- ومن الكذب في المزاح: ما يعرف بالنكت (١)، وهي محرّمة لما فيها من كذب والجور والبهتان.

تحذير:

فليحذر كل منا من كلمة تخرج على وجه المزاح؛ فتسخط الله، وتكون سبباً في دخول النار

- **فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

"إنّ العبد ليتكلم بالكلمة، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب"

- **وفي رواية: "وإنّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، لا يُلقي لها بالاً يهوي بها**

في جهنم"

بشارة:

بشّر النبي صلى الله عليه وسلم ببيت في وسط الجنّة لمن ترك الكذب حتى وإن كان مازحاً

فقد أخرج أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنّة لمن

ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنّة لمن حسن خلقه" (السلسلة الصحيحة: ٢٧٣)

(١) النكتة: هي اللطيفة المؤثرة في القلب، وقيل غير ذلك.

٣) ومن صور المزاح المحرم: السخرية والاستهزاء بالآخرين

يجب على المسلم أن يبتعد في مزاحه ولهوه عن السخرية والاستهزاء بالآخرين أو تحقيرهم أو إظهار بعض عيوبهم بصورة تدعو للضحك والسخرية، أو أن يتناول إنساناً ويذكر عيباً من عيوبه.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الحجرات: ١١]

- يقول الغزالي رحمه الله في "الإحياء" (٣/١٣١): "ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزئ به لم يسمَّ غيبة، وفيه معنى الغيبة". اهـ

- وفي "سنن أبي داود" والترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

"قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك^(١) من صفيه كذا وكذا" - قال أحد الرواة: "تعني أنها قصيرة"،

"فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته"^(٢)، قالت: وحكيت له إنساناً^(٣)، فقال:

"ما أحبُّ أني حكيت إنساناً، وإن لي كذا كذا"

(الصحيحة: ٩٠١)

- ولما ضحك البعض من دقة ساق عبد الله عن مسعود فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

"أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد"

- ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السخرية والضحك عمَّن يخرج من ريح بصوت (الضرطة)^(٤)

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه:

"أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظهم في ضحكهم من الضرطة، وقال: لم يضحك أحدكم مما يفعل؟"

- وفي رواية: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الضحك من الضرطة"

(١) حسبك: كافيك منها كذا.

(٢) مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه أو لونه؛ لشدة ننتها وقبحها.

(٣) حكيت له إنساناً: أي حكيت له حركة إنسان يكرهها، قال المناوي رحمه الله: "أي فعلت مثل فعله، أو قلت مثل قوله، منقصاً له، يقال: "حكاه، وحكاه"، قال الطيبي رحمه الله: "وأكثر ما تستعمل المحاكاة في القبيح".

(٤) الضرطة: هي ريح تخرج من دبر الإنسان بصوت.

٤) أخذ متاع الغير على وجه المزاح

وهذا من المزاح المحرّم الذي منع منه الشرع الحكيم

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: **"لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً، ومن أخذ عصا أخيه فليردها عليه"**

- **قال الخطابي** رحمه الله: "معناه أن يأخذه على وجه الهزل وسبيل المزاح ثم يحبسه عنه، ولا يرده فيصير ذلك جاداً، قال سليمان - هو ابن عبد الرحمن -: "لاعباً ولا جاداً" وجه النهي عن الأخذ جاداً ظاهر لأنه سرقة، وأما النهي عن الأخذ لاعباً فلأنه لا فائدة فيه، بل قد يكون سبباً لإدخال الغيظ والأذى على صاحب المتاع". اهـ
(عون المعبود: ١٣/٢٣٧)

- **وقال الشوكاني** رحمه الله: "فيه (أي الحديث) دليل على عدم جواز أخذ متاع الإنسان على وجه الهزل والمزح". اهـ
(نيل الأوطار: ٦/٤٩)

فإذا كان المقصد من المزاح هو استرواح للنفس سواء للمزاح أو للممزوح معه فهو أمر جائز، أما المزاح المؤذي المغير للقلوب، المضر بالغير، الموجس للنفس، فإنه لا ينفك عن تحريم أو كراهة، فمن الناس من يستهزئ مازحاً، ويغتاب مازحاً، ويكذب مازحاً، ويحقر أخاه مازحاً، ويأخذ متاع غيره مازحاً، ويروّع غيره مازحاً، وينتهك حرمت الإسلام مازحاً، فكم جلب المزاح المحرّم من ويلات"

٥) ترويع المسلم على وجه المزاح

وترويع المسلم على وجه المزاح أمر منهي عنه شرعاً

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:

"حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبلٍ معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع؛ فضحك القوم، فقال: ما يضحكم، فقالوا: لا، إلا أننا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً"

- وفي رواية عن البزار والطبراني وابن حبان عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه:

"أن رجلاً أخذ نعل رجلٍ فغيبها وهو يمزح، فذكر ذلك لرسوله الله ﷺ، فقال: "لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلم عظيم"، وترويع المسلم على وجه المزاح محرّم؛ لأنه يوغر الصدر، ويلحق الضرر بالغير، حيث يصيبه بالخوف والذعر، وهذا أمر نهى عنه رب العالمين في كتابه الكريم؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]

- والله در القائل:

أكرم جليساك لا تمازح بالأذى
كم من مزاح جدّ حبل قرينه
إن المزاح ترى به الأضغان
فتجدت من أجله الأقران

٦ المزاح بالسلاح أو الإشارة به

وهو من المزاح المحرّم، فهؤلاء الذين يعبثون مع إخوانهم المسلمين بهذا المزاح السخيف، فيشير أحدهم إلى أخيه بالسلاح فيخيفه، أو يصيبه بالأذى، أو الطعن، أو القتل، ثم يقول: كنت أمزح!!!

فقد أخرج الإمام مسلم حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"مَنْ أَسَّارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدْعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمَّهُ"

- **قال النووي رحمته الله:** "فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرّض له بما قد يؤذيه، وقوله صلى الله عليه وسلم: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه" مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يُتهم فيه، ومن لا يُتهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً، أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال؛ ولأنه قد يسببه السلاح كما صرّح به في الرواية الأخرى، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام". اهـ

(شرح مسلم: ٤٨٨/٨)

- **وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**

"لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده؛ فيقع في حفرة من النار"

قال ابن حجر رحمته الله: "وفي الحديث النهي عما يُفْضِي إلى المحذور، وإن لم يكن المحذور مُحَقَّقاً سواء كان ذلك في جد أو هزل". اهـ

(فتح الباري: ٢٨/١٣)

- **وقال العلماء في الحديث السابق:** "إن الشيطان قد يحمل المازح أو الهازئ أو اللاعب على الفساد والتطاول دون أن يدري، فما يشعر وهو غارق في حمس مزاحه إلا وقد أسرف في إشارته حتى تجاوزت حدها، فأصابت أخاه، وسبق السيف العزل، أو لعل قوى الشر في نفسه تثور من رقبتها وكمونها، بفعل الشيطان وكيد، فيمد يده إلى ما لا يقصد فيكون السوء، وما يفضي إلى المحذور محذور؛ ولذلك نهى الفقهاء عن مثل هذا العمل في الجد أو في الهزل"

٧ المزاح مع غير المحارم

مزاح الرجل مع المرأة الأجنبية، ومزاح المرأة مع الرجل من غير محارمها محرّم؛ لأن المزاح به استعطاف وإيناس للمخاطب وتليين للقلوب، فهذا يؤول إلى معصية، ويسبب فتنه وفساد، والله لا يحب

الفساد، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]

• مفاصد المزاح المذموم

أنه يورث البغضاء، ويسلب البهاء، ويسقط الوقار، وينبت الغل، ويقطع الصداقات، ويزيح عن الحق، ويسود الوجه، ويحي الضغينة، ويزرع الحقد، فيفرق بين الأخوين، ويتهاجر المتألفين، ومن المزاح ما يسبب العداوة والتباغض، فإن باب الشر إذا فُتِح لا يُسد، وسهم الأذى إذا أرسل لا يرتد، وقد يُعرض العرّض للهنك، والدماء للسفك" (انظر روضة العقلاء لابن حبان: ص ٧٨-٨٠)

- ويقول الراغب رحمه الله كما في "فتح القدير" (٣/٤١):

"المزاح (١) المذموم مسلبة للبهاء، مقطعة للإخاء، فحل لا ينتج إلا الشر". اهـ

- يقول السابوري في قصيدته:

وخيره يا صاح لا يُنال
من الفتى تدعو إلى التّلاحي
لكنّما آخره عداوة
ويجتري بسُخفه السخيف

شرُّ مزاح المرء لا يقال
وقد يُقال كثرة المزاح
إن المزاح بدؤه حلاوة
يحقد منه الرجل الشريف

- يقول أبو الحسن الماوردي رحمه الله: "اعلم أن المزاح إزاحة عن الحقوق، ومخرج إلى القطيعة والعقوق، يصم المازح ويؤذي الممازح، فوصمة المازح: أن يذهب عنه الهيبة والبهاء، ويجرّئ عليه الغوغاء والسفهاء، وأما أذية الممازح: فلائته معقوق بقول كريه، وفعل ممض، إن أمسك عنه أحزن قلبه، وإن قابل عليه جانب أدبه، فحق على العاقل وإن يتقيه وينزّه نفسه عن وصمة مساوية". اهـ (أدب الدنيا والدين: ص ٢٨٢)

- ويقول الحسين بن عبد الرحمن رحمه الله: "كان يقال: المزاح مسلبة للبهاء، مقطعة للصداقة" (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص ٤٤٧)

- وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول:

"اتقوا الله وإياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينة ويجرّ إلى القبيح..."

(١) يقصد المزاح المذموم.

• عقوبة المزاح الذموم يوم القيامة

أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه؛ يهوي بها في النار أبعد من الثريا (١)"

- وأخرج أبو الشيخ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا هل عسى رجل منكم أن يتكلم بالكلمة يضحك بها القوم؛ فيسقط بها أبعد من السماء، ألا هل عسى رجل يتكلم بالكلمة يضحك بها أصحابه؛ فيسخط الله بها عليه لا يرضى عنه حتى يدخله النار"

• الآثار المترتبة على تصرفات المازح

أولاً: الآثار المتعلقة عن سب الدين أو الاستهزاء به على سبيل المزح

قال ابن قدامة رحمته الله: "ومن سبَّ الله تعالى؛ كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً، وكذلك من استهزأ بالله

تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه، قال تعالى: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ... ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

وينبغي أن لا يكتفي من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام، حتى يؤدَّب أديباً يزره عن ذلك، فإنه إذا لم يُكتَفَ

ممن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوبة فممن سب الله تعالى أولى". اهـ (المغني: ١٠٣/١٠)

ثانياً: الآثار المتعلقة بالزواج والطلاق على سبيل المزح

- **نكر أهل العلم:** "أن تصرفات المازح القولية تؤثر في النكاح والطلاق، وفي مراجعة الزوجة

المطلقة، وينعقد كلامه بذلك وينفذ وتترتب عليه آثاره الشرعية

- **قال الترمذي رحمته الله:** "والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وهذا قول فقهاء

المذاهب الأربعة؛ وذلك لأن الهازل المازح أتى باللفظ عن قصد واختيار، وإن عدم رضاه بوقوع ما يمزح

فيه لا أثر له في الشرع، بل هو ملزم به ديانة وقضاء". اهـ (سنن الترمذي: ١١٤٨)

- **قال ابن قدامة** رحمته الله: مسألة؛ قال: "وإذا أتى بصريح الطلاق لزمه، نواه، أو لم ينوهِ، قد ذكرنا أن صريح الطلاق لا يحتاج إلى نية، بل يقع من غير قصد، ولا خلاف في ذلك؛ ولأن ما يعتبر له القول يكتفي فيه به، من غير نية، إذا كان صريحاً فيه، كالبيع، وسواء قصد المزح، أو الجد". اهـ

(المقني: ٨/٢٨٠)

- **وقال ابن المنذر**: "واجمعوا على جد الطلاق وهزله سواء". اهـ

(الإجماع: ص ٢٤)

ثالثاً: الآثار المتعلقة بالعقود إذا قيلت على سبيل المزح

- **قال الشافعي** رحمته الله في كتابه "الأم" (١/٧٤): "ولو أقرَّ له رجل بحق لا يعرفه، ثم قال: مزحت فإن صدَّقه بأنه مزاح لم يحل له أخذه، وإن كدَّبه وكان صادقاً بالإقرار عنده وسعه أخذ ما أقر له به، وإن شك أحببت له الوقوف فيه". اهـ

- **وقال المالكية**: "إذا قال البائع: "أبيعتك سلعتي بكذا، أو أعطيكها بكذا، فأجابه المشتري بما يدل على الرضا، فقال البائع: "لم أرد البيع، وإنما أردت اختبار ثمنها، أو كنت مازحاً... أو نحو ذلك، فإنه يحلف أنه ما أراد بقوله: "أبيعتكها إيجاب البيع، وإنما أراد به ما ذكر، فإن حلف لم يلزمه البيع، وإن لم يحلف لزمه". اهـ

(مواهب الجليل: ٤/٢٣١)

(المزاح آداب وأحكام - لأبي عبد الله السيد بن حمودة: ص ١٢٠-١٢٢)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسرّ جمعه في هذه الرسالة
 نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منّا بقبول حسن، كما أسأله ﷺ أن ينفع بها
 مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.
 هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمئني
 ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب،
 فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي
 وإن وجدت العيب فسد الخلا
 جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
 والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
 هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....
 سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك